الفصل الثاني :
الأخطار المحتملة في الإنترنت

obeikandl.com

إن مصطلح (الجريمة في الإنترنت) لا ينحصر فقط في سرقة البطاقات الائتمانية أو اختراق المواقع، بل هو مصطلح عام يندرج تحت مظلته كل عمل مخالف للقانون ومخل بالآداب يتم عن طريق الإنترنت. وعلى الرغم من كثرة هذه الأخطار وتنوعها وصعوبة تصنيفها إلا أن الحديث سيدور حول خمسة أقسام رئيسة منها، وهي:

١- الأخطار المادية

٢- الأخطار النفسية

٣- الأخطار على الأطفال

٤- الأخطار على النساء

٥- الأخطار على الخصوصية

obeikandl.com

٢-١ الأخطار المادية

تعدّ الأخطار المادية من أهم الأخطار في الإنترنت، وهي أول ما يتبادر للذهن عند ذِكْر مصطلح الجريمة في الإنترنت. ففي تقرير أصدره مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي (FBI/CSI)، أوضح أن بطاقات الائتمان كانت تمثّل الغالبية من خسائر القرصنة والسرقات المالية التي حدثت في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٥م، والتي بلغت ٣١٥ مليار دولار، وأفادت دراسة أوروبية ذكرت أن أكثر من ٢٢ مليون من الأشخاص البالغين قد وقعوا ضحايا خداع وسرقة بطاقاتهم الائتمانية في أوروبا عام ٢٠٠٦م، أما الإحصائيات الصادرة من البنك المركزي الفرنسي بنك فرنسا، فقد أظهرت أن خسائر سرقة بطاقات الائتمان بلغت ٢٣٦ مليون يورو (٣١٩ مليون دولار) عام ٢٠٠٦م.

وتقّدر إحصائيات أخرى معدل جهد الشخص المتضرر الذي يقوم بقضاء ما يقارب (١٧٥) ساعة ويصرف ما يصل إلى الألف دولار لكي يتمكن من استرجاع أمواله الضائعة نتيجة سرقة بطاقته الائتمانية. وتقدر الإحصائيات الخسائر المادية المتعلقة بالإنترنت ببلايين الدولارات سنوياً، وهذا شيء منطقي عند معرفة الخصائص والتسهيلات التي تقدمها الإنترنت للجريمة (كما ذكر سابقاً). وتستحوذ سرقة البطاقات الائتمانية على نصيب الأسد في هذه السرقات المادية في الإنترنت، لكونها الوسيلة الرئيسة لتبادل السيولة المادية في الإنترنت. ومن القصص المتعلقة بسرقة البطاقات الائتمانية في الإنترنت ما حدث في الأردن في الشهر السابع من عام ٢٠١١م، إذ حذر البنك المركزي الأردني البنوك المحلية من توسيع نطاق خدمة بطاقات فيزا الائتمانية بعد تعرض العديد منها إلى عمليات قرصنة وسرقة خارج البلاد، وقد ذكرت بعض المصادر في القطاع المصرفي أن حجم التزوير في البطاقات الائتمانية (فيزا) قد تصل في مجملها منذ بداية العمليات أي قبل ثلاثة أشهر إلى مليوني دينار أردني. وأما أكبر عملية في هذا الباب ما أعلنت عنه السلطات الأميركية في الشهر الثامن من ٢٠٠٩م، من ضبط ما قالت إنها

obeikandi.com

أكبر عملية قرصنة وسرقة هوية على الإطلاق. إذ شملت سرقة أكثر من (١٣٠) مليون بطاقة ائتمانية لأكثر من (٢٥٠) شركة للبيع بالتجزئة و منظمات مالية كبرى، ووجهت السلطات الاتهامات إلى ثلاثة أشخاص أحدهم أميركي يدعى (ألبرت غونزاليز) من مدينة ميامي والآخران روسيان. وإضافة إلى هاتين القصتين فهناك المئات من هذا النوع من الجرائم؛ إذ إن البطاقات الائتمانية ليست هي الطريقة الوحيدة، فهناك أيضا مواقع البنوك التي تمكن المعتدي من القيام بمختلف العمليات البنكية عن طريق الإنترنت، وعلى الرغم من أن هذه المواقع قد تكون آمنة من الاختراق من قبل المجرمين، إلا أن الثغرة الأمنية المتعلقة بها هي المستخدمون العاديون. فالمجرمون في الإنترنت يفكرون بطريقة مميزة وغير تقليدية-وسيأتي الحديث عن خصائصهم في الفصل الخامس- فإذا كان موقع البنك محصناً بشكل كبير- وهو بلا شك كذلك- فهذا لا ينفي الإمكانية العالية لاختراقه وسرقته، غير أن أسهل الطرق وأيسرها للمجرمين هي محاولة السرقة عن طريق انتحال شخصية المستخدم البسيط الذي لا يمتلك المعرفة والقدرة الكافيتين لتوفير مستوى جيد من الحماية. وأبسط مثال لذلك هو تعرض جهاز مستخدم عادي للاختراق عن طريق أحد برامج التجسس التي تمكن المخترق من معرفة كل ما يقوم به المستخدم أو يكتبه، ومن ضمن ذلك معرفة اسم المستخدم الخاص وكلمة السر التي يستخدمها ذلك الشخص للتحكم في حسابه البنكي؛ مما يمكن المجرم من استخدامها بشكل مضر لصاحبها. وهذا ينطبق أيضا على مواقع التعامل بالأسهم أو مواقع السوق الإلكتروني، أو مواقع الشراء في الإنترنت، أو غيرها من المواقع الأخرى.

وانتشار التجارة في الإنترنت هو سلاح ذو حدين، فهو يوفر السهولة والرفاهية للمستخدم، كي يتمكن من استخدام الإنترنت للتسوق والقيام بمختلف العمليات التجارية دون أن يخرج من بيته، ولكنه في الوقت نفسه يعد هذا الانتشار جذّاباً للمجرمين الطامعين في الإنترنت والذين يرغبون في استخدام خصائصها المختلفة للحصول على المكاسب بشكل غير قانوني.

٢-٢ الأخطار النفسية

ليست الإنترنت مستودعاً للمعلومات فحسب، بل يمكن النظر إليها على أنها مجتمع إلكتروني يتقابل فيه الناس ويتحادثون، ويبيعون ويشترون السلع المختلفة. وهذا المجتمع الافتراضي في حالة المستخدم الطبيعي المتزن هو مكمّل للمجتمع الحقيقي الذي نعيش فيه حياتنا الواقعية. وهناك معادلة يوجد في أحد طرفيها المجتمع الحقيقي، وفي الطرف الآخر المجتمع الافتراضي، وهذه المعادلة يجب أن يتم وزنها وإلا فإن هناك خللاً لابد من حدوثه. ولا يعدو الناس بالنسبة للمعادلة ثلاثة أقسام: فأما الأول؛ فهو قسم لا يعترف بالمجتمع الافتراضي ويرفض استخدامه، وهذا القسم يحرم نفسه من الفوائد التي تقدمها الإنترنت له، وأتوقع أن ينقرض هذا القسم عاجلاً أم آجلاً. وأما القسم الثاني؛ فهو قسم يوازن بين المجتمعين، ويستخدمهما كمكملين لبعضهما بعضا. وهذا هو القسم السليم والمطلوب. وأما القسم الثالث؛ وهو مدار الحوار في هذه النقطة، وهو القسم الذي انغمس في المجتمع الافتراضي بشكل كامل مما أدى إلى انعزاله عن المجتمع الحقيقي. وهذه هي المشكلة الكبيرة التي يطلق عليها في أوساط مجتمع الطب النفسي بإدمان الإنترنت، وهو مصطلح حديث برز مع ظهور الإنترنت. وتقضي هذه الفئة من الناس جلّ وقتها أمام شاشة الحاسب سواء في البحث عن المعلومات أو المحادثة أو غيرها. ويغلب على الأشخاص المنتمين لهذه الفئة المعاناة من مشاكل في التعامل مع الأشخاص الآخرين في الحياة الواقعية، بل إنك قد تجد بعضهم منبوذاً في الحياة الواقعية وينظر إليه على أنه غريب الأطوار، في حين يكون في مواقع الإنترنت ومنتدياتها من أشهر المشاركين وأكثرهم محبة من قبل الآخرين.

بالطبع فإن درجة الإدمان تتراوح بين عدة مستويات، ولكن أهونها سيِّئ. ولقد بينت إحدى الإحصائيات أن نسبة من يعانون من إدمان الإنترنت بشكل أو بآخر هو (١٠٪)، وهي نسبة ليست قليلة. والإدمان في الأعم الأغلب يكون إما على المواقع الإباحية، أو المحادثة أو المقامرة أو الألعاب. ولكل قسم من هذه الأقسام طريقة للعلاج.

obeikandl.com

ويعتقد علماء النفس بأن السبب الرئيس لإدمان الإنترنت هو وجود مشاكل اجتماعية لمدمني الإنترنت، حيث إن المدمن يهرب من المجتمع الحقيقي إلى مجتمعه (الافتراضي) الخاص حيث لا يعرفه ولا يعلم عن مشاكله أحد.

والطريف في الأمر أنه انتشر في الإنترنت حاليا مواقع تقدم المعالجة لإدمان الإنترنت، ومن دون حاجة المريض لزيارة العيادة في الحياة الواقعية.

٢-٣ الأخطار على الأطفال

تأتي مع الإنترنت فرصة يصعب تصديقها للأطفال. فهي تجعل كل شيء في متناولهم، ابتداءً بالتعليم وانتهاءً بالتسلية والترفيه. فالأطفال (بنون وبنات) ممن هم في الصف الرابع أو الخامس، أو حتى قبل ذلك، يستطيعون زيارة مواقع كثيرة على الشبكة. فالطفلة، مثلا يمكنها أن تبحر في المواقع التي تشتمل على مواد خاصة بالبنات فحسب، مثل موقع الألعاب (بنات هاي)، وبقية المواقع المفيدة التي تستحق الإبحار فيها خصوصا للأطفال، مثل موقع بنين وبنات، أو كتاكيت وغيرهما.

obeikandl.com

شكل ٢-١: أحد المواقع العربية الخاصة بالأطفال(www.kids.islamweb.net)

فالشبكة تضع في متناول الأطفال الكثير، ولكن ينبغي للوالدين معرفة إلى أين سيبحرون، وكيف يبحرون، ووضع الاحتياطات اللازمة لحمايتهم من الانزلاق نحو المواقع غير المناسبة التي تشتمل على مواد تلحق بهم الأذى؛ مثل: المواقع الإباحية التي تعرض الصور الفاضحة أو الجنس، وتلك التي تدعو إلى تعاطي مختلف أنواع المخدرات وتبين آلية صناعتها، ومواقع لعب القمار، وبعض المواقع التي تحوي تعليمات صناعة القنابل والمتفجرات، أو تكون مؤطرة بالكره والتعصب والعنصرية، وتدعو للرذيلة أو تشجع على الانخراط في جمعيات سرية أو عصابات مافيا تمارس أعمالاً مخالفة للقانون. ومن المؤسف أن عدد هذه المواقع وما تعرضه من صفحات في تزايد مستمر. ولذلك، ينبغي الحذر وسدُّ الذرائع التي تفتح باب الشر هذا، والاكتفاء بالمواقع المفيدة التي ترتقي بمعارف الأطفال وتثري أخيلتهم، وتغرس فيهم قيماً لا تتناف مع المعتقدات الدينية، أو تتعارض مع الأخلاقية السائدة في مجتمعاتهم.

وهناك أمور مهمة تتعلق بالاتصال المباشر بالإنترنت يجب وضعها بالحسبان. فمع نمو الشبكة وازدياد عدد المواقع وتنوعها بين صالح وطالح، وبسبب عدم وجود رقابة عليها، أو قانون عام يحميها، يجب أخذ الاحتياطات اللازمة فيما يتعلق بتوفر الأمن والحماية للأطفال على الشبكة كي لا يخوضوا في أوحالها، أو يهبطوا إلى عالمها السفلي البغيض. فالأطفال دون هذه الحماية وبسبب عدم إدراكهم لما يدور في فضاء الإنترنت يمكن أن يصبحوا معرضين لخطر كبير. ولذلك، سيتم هنا اطلاع القارئ على ما يجب القيام به لحماية طفله وحفظه بعيداً عن هذه الأخطار.

إن الكثير من الأطفال يبحرون في الإنترنت هذه الأيام، ويشاركون الكبار في الاطلاع على أعقد المعلومات والملفات فضلاً عن أبسطها، فتجدهم يفتشون عن الأمطار الحمضية، والمسائل الاجتماعية الشائكة، ويقابلون الكبار والصغار ممن هم في سنهم ومستواهم الدراسي، ويتعرفون على معطيات حضارية وثقافية لأمم أخرى ومجتمعات لها معتقداتها ونهجها الحضاري المماثل أو المغاير. فشبكات الحاسب تَعِدُ بمزايا وفرص مذهلة، ولكنها في الوقت ذاته تطرح مشكلات في غاية الصعوبة والتعقيد، وتحتاج إلى نقاش صريح وواضح يمكن الوصول من خلاله إلى حلول واضحة لمشاكل معلقة يشار إليها دائما بالأخطار المحتملة. فإلى متى ستظل هكذا تهدد مستخدمي الشبكة بدرجة قد تؤدي إلى عزوف الكثيرين عنها.

ستُطرح هنا جملة من الأسئلة التي تشكِّل الإجابة عليها طريقاً آمناً - حماية الصغار والكبار والأسرة، بل ومستخدمي الشبكة جميعاً عند إبحارهم في عالمها الفسيح. هل يمكن منعُ الأطفال من الوصول إلى المواد المثيرة للجدل والمختلف عليها؟ وهل المنع أمر مرغوب فيه من قبل الجميع؟ وهل الرقابة هي الحل الأمثل لذلك؟ وما هي البدائل المطروحة؟ وما هي الحلول التي يمكن تقديمها؟ وكيف نتخاطب مع الأطفال حول هذه المسائل؟ وماذا نقول للآباء والأمهات ومديري المدارس الذين تقلقهم هذه المسائل؟ وإن من أعقد الأسئلة المطروحة ما يأتي: من الذي يقرر المناسبَ وغير المناسب من المواد؟ ومن هو الذي يضع المعايير الاجتماعية لما هو مناسب

وغير مناسب؟

إن الأسئلة كثيرة ومتشعبة، وإن المجازفة ستكون كبيرة جداً إذا لم يجد الجميع -بالتعاون مع بعضهم بعضا- سبلاً ووسائل لمعالجة هذه الأمور الصعبة والإجابة على هذه الأسئلة المحيرة لأن عدم إيجاد وسائل المعالجة سيدفع الآباء ومديري المدارس لمنع الأطفال من الإبحار في الشبكة كأفضل وسيلة لحمايتهم من الأخطار المحتملة التي تمثل أعقد تحديات هذا القرن وربما القرون القادمة.

إن أكثر الأخطار احتمالاً وفق الإحصائيات المتداولة، هو أن يقابل الأطفال في غرف النقاش، أو مجموعات الأخبار، أو في مواقع أخرى أشخاصاً بغيضين يتميزون بالوقاحة والخسة وسوء الخلق، ويمثلون خطراً داهماً عليهم. ومن المخاطر الأخرى هي أن يُضيَّعَ الأطفال وقتاً ثميناً من عمرهم في مجالات لا تعود عليهم بالنفع، **ويضاف إلى ذلك ما يأتي:**

- التعرض لمواد لا تناسبهم، وتشمل الجنس وإثارة نعرات الكراهية، أو التشجيع على العنف والدعوة للانخراط في جماعات أو جمعيات تمارس أنشطة خطيرة أو غير قانونية.
- الإيذاء الجسدي الذي قد يحدث من خلال قيام الأطفال - وهم مرتبطون بالشبكة- بتقديم معلومات، أو ترتيب لقاء مع أشخاص آخرين قد تعرض سلامة الطفل أو الطفلة أو سلامة الأسرة ككل للخطر. ففي العديد من الحالات استخدم أشخاص منحرفون من مستغلي الأطفال جنسياً، البريد الإلكتروني أو لوحات البيانات وغرف النقاش لكسب ثقة أحد الأطفال، ثم التنسيق معه لمقابلته فعلياً.
- التعرض للمضايقة والإزعاج المستمرين من خلال تلقي رسائل بالبريد الإلكتروني أو من خلال غرف النقاش أو لوحات المعلومات، فتسبب لهم مضايقة وإزعاجاً شديدين، كأن تكون هذه الرسائل قذرة المحتوى والأسلوب أو مثيرة للحنق. وهذا النوع من المخاطر لا يهدد بالطبع حياة الأطفال ولكنه يجرح مشاعرهم، وتترتب عليه ترسبات نفسية قد تكون

obeikandl.com

لها آثار ضارة وذكرى مؤلمة في مستقبل حياتهم، وهذا قد يحدث لأي طفل يمارس هواية الدخول إلى غرف النقاش، أو تبادل الرسائل على المنتديات.

- القيام بعمل مخالف للقانون أو تترتب عليه مسؤولية مالية. فمن الأخطار المرجحة أيضاً أن يقوم الطفل بعمل تكون له آثار سلبية من الناحية القانونية، أو المالية، مثل الكشف عن رقم بطاقة الائتمان الخاصة بوالده أو والدته، أو القيام بعمل يخلّ بحقوق الآخرين. وبغضّ النظر عن المسائل القانونية، فإن الطفل يجب أن يتعلم الطريقة الصحيحة للسلوك القويم على الشبكة، وتجنب البذاءة وسوء الخلق والسلوك غير المراعي لحقوق الآخرين ومشاعرهم. ويضاف إلى ذلك خطورة أن يقوم الأطفال بإعطاء كلمات السر الخاصة بأجهزتهم أو أجهزة ذويهم إلى أشخاص آخرين قد يستغلونها في أعمال قد تعرض الأسرة أو الطفل أو الممتلكات للخطر.
- من المخاطر المحتملة أيضاً سلب الخصوصية، فقد يتعرض الأطفال لمحاولة من جهات ذات أهداف مغرِضة لاستخلاص معلومات تتعلق بأسمائهم وأعمارهم والمدارس التي يدرسون فيها،والتعرف على أحوال بقية الأسرة وخصوصيتها.
- التعرض لخطر المخدرات والمسكرات والتدخين وما إلى ذلك، حيث إن هناك بعض المواقع على الشبكة ومجموعات الأخبار تتضمن معلومات تشجع على استخدام الكحول، والحشيش، والمخدرات وتدافع عن ذلك بكل عزيمة وإصرار، لأهداف مادية أو عدائية للمجتمع المحافظ.
- تعلُّمُ لعب القمار وأنواع السلوك الأخرى غير المقبولة عبر المواقع التي تسمح لمرتاديها بالمقامرة الحقيقية بالمال أو للتسلية فقط. وبعض هذه المواقع قد يقوم بهذا العمل في بعض الحالات بصورة مشروعة في بعض البلدان التي تسمح قوانينها بمثل هذه الممارسات للكبار، كما أشرنا سابقاً، ولكنها تكون غير قانونية للقُصَّرِ ممن هم دون سن الرشد، بغض النظر

obeikandl.com

عن مكان وجودهم. وتتطلب المقامرة على الشبكة أن يستخدم المقامر بطاقة ائتمان، أو أن يكتب شيكاً لتحويل الأموال. والحديث عن المقامرة يمكن أن يقود أيضاً إلى احتمال بيع وشراء الأسهم عبر الشبكة. لذا؛ فإذا كان للأطفال إمكانية الوصول إلى متصفح آبائهم، أو حساب مقدم الخدمة لهم، وكلمة السر الخاص بأعمال المضاربة لهم في الأسهم، فإنه سيصبح بإمكانه القيام بمثل هذه المعاملات عبر الشبكة. ولذلك ينبغي مراقبة ذلك بحذر شديد؛ إما بمنع الأطفال من القيام بذلك، أو تشديد الرقابة عليهم لمعرفة ما يقومون به من أعمال على الشبكة.

ولكن الأكثر إثارة ورعباً هو أن المرء قد يجد مواقع على شبكة الإنترنت تتيح له تعلُّم صناعة القنابل والمتفجرات، أو الحصول على الأسلحة بأنواعها المختلفة. ولكن لحسن الحظ لم ترد حتى الآن على الإنترنت روايات تفيد بقيام أي طفل بأعمال عنف أو استخدام لمواد صنع القنابل أو المتفجرات، أو المخدرات، من خلال تواصله مع الإنترنت والإبحار فيها. ومع ذلك، فإنه ينبغي في بيئة شديدة الخطورة لا سيطرة لأحد عليها، مثل شبكة الإنترنت التي تتوفر فيها جميع أصناف المعلومات المفيدة وغير المفيدة، اتخاذ كل ما يلزم من احتياطات لحماية أطفالنا من أي معلومة أو فعل يمكن أن يعرض حياتهم للخطر.

٢-٤ الأخطار على المرأة

كشفت إحصاءات أعلنت نتائجها شركة (جوجل الشرق الأوسط وشمال إفريقيا) في الشهر الثامن من عام ٢٠١١م، على موقعها (Insights MENA) وهو الموقع الذي أطلقته لخدمة المهتمين بمعرفة مؤشرات وسلوك استخدام الإنترنت؛ أنّ أكثر معدل لاستخدام النساء للإنترنت في الدول العربية التي تغطيها مؤشرات الموقع كان في دولة الإمارات حيث بلغت النسبة ٨١ ٪، فيما بلغت في السعودية ٦٥ ٪، وحلت المغرب في المرتبة الثالثة بنسبة ٤٢ ٪، ثم الأردن ٣٠ ٪، فمصر ٢٩٪.

وأظهرت الأرقام أن المعدل العام لاستخدام الإنترنت في الدول الخمس :مصر، الأردن، المغرب، السعودية والإمارات، يصل إلى ٥٧ ٪، حيث بلغت النسبة العامة للنساء المستخدمات للإنترنت في هذه الدول ٤٦ ٪، فيما بلغت نسبة الرجال المستخدمين للإنترنت ٦٥ ٪

وأظهرت الأرقام أن المعدل العام لاستخدام الإنترنت في الدول الخمس :مصر، الأردن، المغرب، السعودية والإمارات، يصل إلى ٥٧ ٪، حيث بلغت النسبة العامة النساء المستخدمات للإنترنت في هذه الدول ٤٦ ٪، فيما بلغت نسبة الرجال المستخدمين للإنترنت ٦٥ ٪

ومع أن الإحصائية السابقة تقدم أرقاماً معقولة لمشاركة النساء في الشبكة العنكبوتية إلا أن المتابع للمنتديات والمنابر العامة التي يتعرف فيها الأشخاص بعضهم على بعض، من خلال المقالات التي ترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو التحاور الإلكتروني، أو غرف المحادثة، أو غيرها من الوسائل التي تتيحها الشبكة؛ يلاحظ أن عدد الرجال الذين يشاركون فيها يفوق عدد النساء بشكل ملحوظ. لدرجة أن الرجال المشاركين يحاولون عبثاً الحصول على إجابة شافية للسؤال

obeikandl.com

عن سبب قلة النساء من حولهم في هذه المنتديات على الرغم مما يبدينه من ضجيج في الحياة العامة حول العدل والمساواة وتكافؤ الفرص.

والإجابة المرجحة على انعدام هذا التوازن لا تبدو واضحة بالقدر الكافي. فبعضهم يرى أن ذلك عائد إلى كثرة عدد الرجال الذين يستخدمون أجهزة الحاسب. ويرى آخرون أن الشبكة بدأت بغالبية من الرجال، وعند محاولة النساء الدخول إلى الشبكة والانتماء إليها يشعرن بمعاملة غير طيبة ومجحفة من عالم الرجال فيحجمن عن المشاركة الفاعلة فيها. ومع ذلك فهناك من يقول بأن عدد النساء على الشبكة كبير، ولكنهن يستخدمن أسماء مستعارة (رجالية) لصرف النظر عن جنسهن، والتركيز على كلماتهن وإنتاجهن الفكري والإبداعي. ولكنها في نهاية الأمر مسألة يصعب البت فيها والتيقن منها.

وأياً تكن الأسباب لقلة عدد النساء على شبكة الإنترنت، فالمعلوم أن المرأة غالباً في معظم دول العالم عندما تتحدث في مجموعة أخبار أو مجموعة نقاش يهيمن عليها الرجال، فإنها في الغالب تخشى أن تجد نفسها قد أصبحت محط الأنظار شاءت أم أبتْ. وهي ترجّح أن الرجال يستجيبون لها ليس فقط للتمعن في ما تطرحه من آراء وأفكار بل تطلعاً لمعرفة اسمها، وعمرها، وعنوانها، وشكلها أو حتى لمجرد الإحساس بالغبطة لمشاركة أنثى لهم في هذا المنتدى أو غيره، فتشعر بعدم الارتياح، ومن ثم تعزف عن المشاركة وربما ترحل عن الشبكة بكاملها.

ولذلك عندما تصبح الشبكة آمنة، ويعامل فيها كل فرد، رجلاً كان أم امرأة، بمساواة ويحظى بالاحترام دون النظر إلى نوعه، أو جنسه، أو جنسيته، أو دينه، أو لونه، أو نوعية جهاز حاسبه، و ما إلى ذلك، ويتم معاقبة أي محاولة للتحرش، فإن الشبكة ستصبح مكاناً نموذجياً لتبادل الآراء والأفكار والنقاش الجاد المثمر، وستحاول المرأة الانتماء إليها والانتفاع بما توفره من معلومات ومعارف دون اللجوء إلى ترتيبات ووسائل لإخفاء شخصيتها وانتحال اسم رجالي كثمن للإبحار في الشبكة دون التعرض للمضايقات والإيذاء النفسي، خصوصا وأن هناك الكثير

منه على الشبكة الفسيحة الأرجاء التي تحولت المرأة فيها إلى مجرد أنثى ورمز للمتعة الجسدية فقط.

ومن النصائح التي تبرع الكثيرون بتقديمها للمرأة إذا كانت تتعرض لمضايقات وتحرشات إلكترونية، هي أن تستخدم اسم مستخدم لا يدل على جنسها. فهناك الكثير من الذكور المنحرفين أو المراهقين الذين يجوبون سماء الإنترنت مستخدمين مختلف التقنيات بحثا عن النساء المرتبطات بشبكة الإنترنت طمعا في إرسال رسائل لهن أياً كان نوع هذه الرسائل بريئة أو غير بريئة. وهو أمر تعاني منه كثيرات من اللاتي يرتدن الشبكة، ويصبحن هدفاً للإزعاج والملاحقات التي لا تنقطع. ولحسن الحظ أن كثيراً من الأجهزة والبرامج تتيح لهن وقف مثل هذه الرسائل.

غير أن الشيء المؤسف هو أن الشبكة أصبحت أرضاً خصبة لإقامة أي نوع من العلاقات حتى دون التأكد من هوية الطرف الآخر، وجنسه، وهل هو رجل أو امرأة أو طفل. وهي علاقات قد أدت في كثير من الدول التي تنشأ فيها إلى ما لا تُحمد عقباه نتيجة للثقة السريعة التي يوليها بعضهم للذين يصادفونهم على الشبكة.

فهذه قصة فتاة مسلمة، كتبت لإحدى المجلات تطلب المشورة بشأن علاقة أقامتها عن طريق الشبكة أيضاً، إذ كتبت تقول: «إنها شابة مسلمة عمرها عشرون عاماً، متعلمة وتعيش مع أبيها وأمها وإخوتها العشرة، وتتمتع باحترام الجميع وحبهم. وإنها منذ خمسة أشهر تعرفت

على شاب في السادسة والعشرين من عمره عبر الإنترنت، وأدركت أنهما يدرسان في السنة الدراسية ذاتها. وبعد التعارف أيقنت أنه –كما تقول– إنسان رائع، وأنه يحبها حباً طاهراً، فهو لا يعرف الخداع أو الكذب. وقد كاشفها بكل شيء عن حياته وأخبرها بأنه مقعد على كرسي متحرك، ويعتمد على نفسه في كل شيء، ويعيش حياة طبيعية. وهي تقول إنها أحبته، وكانت تلتقي به على الإنترنت يومياً، أو تكتب له، أو يكتب لها عبر البريد الإلكتروني. وكانا يتحدثان على الهاتف أيضاً لأنه يسكن على بعد(١٥٠) مئة وخمسين كيلومتراً. وتبادلا صورهما، وأن إعجاب كل واحد منهما بالآخر قد ازداد ونما. ثم تذكر لقاءهما، وأنه عرَّفها على إخوته، وهم أسرة طيبة–كما تقول– إذ استقبلوها بترحاب وكرم كبيرين.

وتردف أيضاً بأنهما تعاهدا على الزواج وفكَّرا في المستقبل. وعندها –كما تقول– حان الوقت لإخبار أهلها، وعندما أخبرت أمها غضبت أولاً: لأن ابنتها قد تعرفت عليه على الإنترنت، وثانيا: لأنه مُقْعَدٌ، وطلبت منها قطع علاقتها به فوراً. وقد أدى ذلك إلى أن يسارع والداها بقبول خطيب لها وهو صديق لأبيها. وأنها حاولت أن تتكيف مع الأمر الجديد، ولكنها لم تستطعْ، وأخبرت من أحبت بالأمر فطلب منها الرضا بالنصيب، ولكنها حاولت ولم تفلح فرفضت الخطبة. وحاول والد حبيبها على الإنترنت الاتصال بوالدها ليحدد موعداً للزيارة، لكنه كان يعتذر ويتهرب، ونتيجة لإصرارها هددها والدها بالقتل إن فكرت في الزواج بحبيب الإنترنت، ثم خيَّرها بين الانصياع لأسرتها ونسيان الحب الفضائي، أو خسران أسرتها.

وواقع الحال يقول إن الذين يبحرون في الشبكة يرون العجب العجاب، لذلك تقوم الكثير من الدول بوضع مرشِّحات (فلاتر) تحجب ما يمكن أن يضر أفراد المجتمع، ورغم أن هذه الفلاتر قد لا تكون كافية إلا أنها تخفف من آثار المواقع السيئة التي تتوالد بمعدل كبير كل دقيقة أو دقيقتين، وتشكِّل بما تنشره وتبثه خطراً شديداً على الأسرة والمجتمع، وبالتحديد على المرأة والأطفال والمراهقين، وبخاصة في مجال الجنس والفاحشة والانحراف والإغواء والاستغلال الجنسي للنساء والأطفال. وقد حوَّلتْ كثيرٌ من المواقع المرأةَ إلى مجرد سلعة ورمز للجنس والبهيمية،

أو أداة –في أحسن الأحوال– لترويج السلع والبضائع ودغدغة الأحاسيس والمشاعر من خلال عرض مفاتنها الجسدية بهدف الإثارة الجنسية التي تتجاوز كل حدود الحشمة والحياء، دون مراعاة لأية قيم دينية أو إنسانية، وهو أمر تتيحه الشبكة لأنها مفتوحة أمام الجميع، ولا يوجد أي نوع من أنواع الرقابة عليها سواء أكان تقنياً أم قانونياً، بسبب اختلاف التوجهات والمفاهيم والمعتقدات والقوانين الخاصة بحرية النشر وقانون حماية الخصوصية على الشبكة.

والشبكة تعجُّ بالمواقع التي تتفنن في أساليب العرض والعبث بالمرأة، بل يوجد على الشبكة من يتبرع بإرسال الصور الفاضحة، والمشاهد الجنسية الصريحة إلى كل من يقع عنوان بريده الإلكتروني في أيديهم، أو كلمة السر الخاصة به في أيديهم. وهناك مواقع تتاجر في عري المرأة، وعرض المشاهد الجنسية، وتروج لها، أو تتخذها أداة لتهديد وابتزاز النساء اللواتي يقعن فريسة لمن يخدعهن تحت أي مسمى، ويقوم بتصويرهن وربما كانت بريئة ثم تتم عملية العبث بالصورة وإدخال تعديلات عليها تخدم أغراضهم الدنيئة، فتهدم كيان أسر، أو تؤدي إلى انتحار بعضهن، أو انهيارهن العصبي والنفسي. ولا يسلم من ذلك حتى الأطفال والحيوانات. وهناك مواقع تعمل على جذب الأطفال والنساء واستغلالهم جنسيا ويروج لها منحرفون على الشبكة، وهي بالجملة جرائم لا يقرها قانون أي بلد ولا يسمح بها.

ويستطيع القارئ الرجوع إلى كتابنا السابق (الشبكة وغزل الأشباح)[1] الذي يتناول بشيء من التفصيل المخاطر والمآسي التي قد تتعرض لها المرأة والطفل على الإنترنت.

---

١ صدر عن مدار الوطن للنشر ١٤٢٦هـ

obeikandl.com

٢-٥ الأخطار على الخصوصية

من سبق له أن اشترى بضاعة من موقع أمازون الشهير، سيلاحظ أنه بعد شرائه لبضاعة معينة، فإن الزيارة التالية ستجعله يجد أن الموقع قد اقترح له بضائع أخرى مشابهة لما اشتراه سابقاً. قد ينظر بعضهم للجانب الحسن في ذلك، وهو أن الموقع يساعد على شراء ما يحتاجه المتسوق الإلكتروني، ويوصله للبضائع التي تناسب اختياره. ولكن ما يغفله الكثير أن هذا يعني انتهاكاً كبيراً للخصوصية، حيث إن الموقع تم تصميمه لمراقبة المتسوق ومعرفة جميع اختياراته وحركاته. وهذا لا

يقتصر فقط على موقع أمازون، بل يندرج ليشمل الكثير من مواقع المبيعات التي ارتبطت فيما بعد بمواقع الإعلانات لتصبح حياة المرء الشخصية منشورة فيطلع عليها كل من يريد. ولعل بعضنا شاهد أحد الإعلانات التلفزيونية لشركة مقدمة لخدمة الإنترنت التي تبين فيها حرصها على حماية خصوصية المستخدم، ويظهر في ذلك الإعلان مجموعة من الناس يمشون في شارع كبير ويحمل كل منهم لوحة كبيرة، وتحتوي كل لوحة على معلومة شخصية خاصة لكل شخص، مثل (أنا أحب الأفلام المرعبة)، (أنا أعاني من مرض الكبد)، (أنا مطلقة ولدي طفلان) وغيرها من المعلومات التي من المحتمل أن يكون أي منا قد قام بإدخالها في الإنترنت بشكل أو بآخر. وفكرة ذلك الإعلان هو أن تلك الشركة تريد أن تبين لك كيف يتم انتهاك الخصوصية في الإنترنت إذا لم تستخدم منتجهم. وهذا مثال مبسط لتوضيح مدى انتهاك الخصوصية في

الإنترنت، التي تعد الطرف الآخر النقيض لخاصية (انعدام الهوية) في الإنترنت التي جرى الحديث عنها في الفصل السابق.

obeikandl.com